المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 05-08-2005
الصفحـات : 19
العـــدد : 11739
المسلسل : 69

ملف صحفي

خير خلف لخير سلف

الليكان... مؤسس الدولة الحديثة .. ورائد الإصلاح والتجديد

بقلم الدكتور إبراهيم بن عبدالله المطرف

.. رسالتان لفتتا النظر بعد ساعات قليلة من وفاة المغفور له بإذن الله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد .. إحداهما للخارج وتمثلت في إعلان من المملكة (أكبر منتج للنفط) تطمئن العالم إلى استمرار السياسة النفطية السعودية دون أي تغيير.

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 05-08-2005 العـــدد : 11739
الصفحـات : 19 المسلسل : 69

والأخرى للداخل، وتمثلت في المرسوم الملكي الصادر بالإبقاء على تشكيل مجلس الوزراء دون تغيير، إذن فالاستقرار والاستمرار هما العنوان الذي أراد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - أن يشير إليه تأكيداً على وحدة القرار السعودي وامتداده، والاستمرار في النهج السعودي للحكم، إضافة إلى النموذج الحضاري الراقي الذي قدمته السعودية للعالم في عملية انتقال السلطة، فالسياسة والتوجهات السعودية أسس راسخة وثابتة، لا تتغير بتغير الملوك والحكام ..

من هنا، لم يكن الالتفاف الشعبي الواسع، ومبايعة الأسرة المالكة لولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود مليكاً على البلاد، تطبيقاً للمادة الخامسة من النظام الأساسي للحكم فحسب، بل تأكيداً لما شهدته الأعوام الخمسة الأخيرة من المهارة والحنكة في إدارة شؤون البلاد ببراعة وحكمة وأقتدار، بشهادة أبرز زعماء العالم وقادته ومفكريه ونخبته السياسية وشعوبه من أقصاه إلى أقصاه.

إن القراءة الأمنية والموضوعية للشمل السياسي والدبلوماسي السعودي في المجال الحيوي للمملكة بمستوييه الإقليمي والعربي، إضافة إلى المستوى الدولي، تشير إلى جملة من الحقائق كلما يؤكد تزايد بروز دور المملكة وتعاظم تأثيرها في كافة المحافل والمنتديات الدولية والإسلامية والعربية والخليجية، بل ودخولها مرحلة جديدة من التطور والبناء والتحديث على الرغم من الظروف غير المواتية التي صاحبت ممارسة ولي العهد مسئوليات إدارة شؤون البلاد، عقب المرض الذي تعرض له المغفور له بإذن الله الملك فهد في عام 1416 الموافق 1995).

ومن أهم هذه الحقائق، التي جاءت تعبيراً عن الحاجة إلى أساليب جديدة لمواكبة متغيرات دولية وإقليمية ومحلية عديدة، وكضرورة لاستيعاب بعض هذه المتغيرات:

أولاً: قد تزامنت بداية تحمل الملك عبدالله مسئولية القرار، مع متغير طارئ وجديد على المملكة وشعبها، تمثل في ظهور وجه قبيح لم يعرفه هذا الشعب طوال فترات تاريخه، وهو وجه الإرهاب الذي أطل علينا بأحقاده وأمراضه مع ضربته الغادرة في ظلام الليل في حادث الخبر عام 1996!.

وعلى الرغم من أن الإرهاب استهدف مناخ الأمن والأمان الذي تعيشه المملكة، حيث تزايدت وحشيته وضراوته خلال الأعوام الثلاثة الماضية خصوصاً في شهري مايو وأغسطس 2003 ، إلا أن القيادة الحكيمة لولي العهد بمعاونة سمو النائب الثاني، نجحت في أن تؤسس لمواجهة فاعلة في مقاومة الإرهاب ، وإن تركزت على توجيه ضربات أمنية قوية لأتباعه وذيوله، إلا أنها لم تعتمد على المعالجة الأمنية سبيلاً واحداً للمواجهة التي شملت محاور أخرى أكثر اتساعاً، منها (معالجة البيئة الحاضنة للجماعات الضالة وكشف الأبعاد والجوانب الخطرة في الفكر الضال والمتطرف والمجادلة بالحسنى، ودعوة الشباب الذين أضلتهم غواية الإرهاب إلى عدم الخروج عن إجماع الأمة.

وقد التف الشعب السعودي برجاله وشبابه ونسائه وأطفاله حول قيادته الحكيمة في هذه المواجهة، وأثبت تعاوناً منقطع النظير في توجيه ضربات قاصمة للإرهابيين وخلاياه، أضعفت وجوده وفاعليته.

ثانياً: تجديد البناء الوطني، وانتهاج عملية الإصلاح كأسلوب و آلية لتطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وفي هذا الإطار نستطيع أن نرصد جولات الحوار الوطني التي انطلقت تحت رعاية ولي العهد في شهر يوليو من عام 2003، وشاركت فيه شخصيات دينية و أكاديمية واجتماعية

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 05-08-2005 العـــدد : 11739
الصفحـات : 19 المسلسل : 69

من مختلف مناطق المملكة. ونستطيع أن نرصد أيضاً إنشاء مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني في أغسطس من نفس العام كآلية من آليات تجديد البناء الوطني، و قناة تسهم في توسيع مساحة المشاركة الشعبية ومناقشة العديد من القضايا الفكرية والإعلامية التي كانت لفترة طويلة بعيدة عن أضواء الحوار وأجوائه الكاشفة والصحية، وتعميق التواصل بين المواطنين والمسئولين، كل ذلك ضمن الأطر التي حددها ولي العهد والتي تستند إلى العقيدة الإسلامية والوحدة الوطنية كمبدأين لا عز لنا كمواطنين إلا في ظلهما كما عبرّ عن ذلك ولي العهد في أكثر من مناسبة.

ثالثاً: التأكيد على تجديد الخطاب الديني، ومكافحة الغلو في الدين، وترسيخ مبدأ الوسطية، والدعوة إلى تعميق مفاهيم التسامح والحوار مع الآخر ، والعمل على إنقاذ الشباب من الأفكار الضالة وإبعادهم عن مزالق الانحراف في فخاخ جماعات التطرف التي تبث سموم ثقافة الكراهية بما تنتجه من موت وقتل وتخريب.

رابعاً : انتهاج التدرج كآلية تطبيق في عملية الإصلاح وتجديد البناء الوطني، وعدم الانجرار وراء الدعوات المتعجلة إلى إجراءات سريعة وشاملة، والتأكيد على عامل نضج المجتمع، واستعداده لحاجات الإصلاح وفقاً لكل مرحلة وطبيعتها، ومدى تقبله لإجراءات الإصلاح وخطواته في تدرج زمني محسوب.

خامساً: لعبت إرادة الحاكم وموقفه الحازم والحاسم - مدعوماً بتأييد الشعب السعودي - دوراً بالغ الأهمية في ضبط عملية الإصلاح وتجديد البناء الوطني، وفقاً لمتطلبات المجتمع، واستناداً لثوابته وتلبية لحاجاته، ضمن أجندة وطنية لا تستجيب إلا لأولويات الداخل مهما كانت نداءات الخارج.

سادساً: شكلت انتخابات المجالس البلدية تطوراً مهماً في توسيع نطاق المشاركة الشعبية في صنع القرار، وتجديد البناء الوطني من ناحية، كما مثلت من ناحية أخرى إضافة نوعية مهمة إلى أنظمة الحكم، وأدواته وأبنيته ومؤسساته، في تجربة فريدة ومتميزة لفتت أنظار العالم واستحقت إعجابه وإدراكه للمنطلقات التي تحكم تطور التجربة.

حكمة القرار في عدد من تجلياتها على الصعيد الداخلي، لا تحجب عيوننا عن تجليتها في الصعيد الإقليمي والدولي، حيث تأكدت مكانة المملكة في محيطها الخليجي والعربي والإسلامي، وأسست منهجاً في الواقعية السياسية ، وقامت بأدوار مؤثرة كوسيط يحظى باحترام المتخاصمين في كثير من المواقف والأزمات الدولية، وهنا تجدر الإشارة إلى دور حكمة القرار في تسوية أزمة لوكيربي وإنهاء عزلة النظام الليبي، وتحدثة الكثير من المشكلات

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 05-08-2005 العـــدد : 11739
الصفحـات : 19 المسلسل : 69

والأزمات في المنطقة العربية.

كما أن إعادة العلاقات الأمريكية - السعودية إلى مسارها الطبيعي، وإزالة التوتر الذي شهدته على فترات أعقبت حادث الحادي عشر من سبتمبر، كانت إحدى العلاقات البارزة في الساحة الدولية خلال الفترة الماضية.

والحديث عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - يحتاج إلى وقفة طويلة لا تتسع لها صفحات أعداد من صحيفة . فهو بحق مؤسس وباني الدولة السعودية الحديثة، منذ تولى حقيبة وزارة المعارف في عام 1953 مؤسساً لحقبة جديدة تقوم على التحديث و العصرنة أي إدخال المملكة إلى العصر، مدركاً أن ذلك لا يتم إلا عبر التعليم حيث يصنع الإنسان ويصاغ عقله، وحيث تمكن من تحديث نظام التعليم وإدخاله إلى العصر ونقله من مرحلة الكتاتيب والعشوائية إلى مرحلة النظامية بمدارسها الابتدائية والمتوسطة والثانوية ثم التعليم العالي، حيث شهدت المملكة بناء آلاف المدارس في مراحل التعليم المختلفة، وبناء مئات المعاهد والكليات وجامعات تستوعب مئات الآلاف من الطلاب والطالبات في مختلف مناطق المملكة.كما أن قيادة عملية التنمية الاقتصادية في إطار مفهوم لا يغفل دور النفط في الاقتصاد السعودي لكنه لا يعتمد عليه وحده، من أهم الأهداف التي سعى إلى تحقيقها المليك الراحل طيب الله ثراه، فشهدت البلاد طوال فترة حكمه نهضة اقتصادية حصد الوطن نتائجها المثمرة في كافة القطاعات والمجالات، عشرات المصانع والشركات والمشروعات الاستثمارية الكبرى، وشهدت البلاد نهضة في قطاعات الصحة والمواصلات والإنشاءات المدنية والجسور والكباري وشبكة الطرق التي تربط بين أنحاء المملكة ومناطقها المختلفة، وبتكاليف تجاوزت المليارات.

الأمثلة والنماذج تفوق الحصر والوصف. ولكننا نكتفي منها هنا بدلالات وإشارات.

وإذ كانت المكانة الدينية المرموقة للمملكة تضعها في موقع عالمي متميز، فإن لقب خادم الحرمين الشريفين لم يكن لقباً حرص الملك فهد على اكتسابه، بل كان شرفاً سعى المغفور له بإذن الله إلى أن ينال أجره وثوابه، فشهد الحرمان الشريفان أكبر توسعة لهما في التاريخ خلال فترة حكمه، وتكلفت عملية تجديده وإعادة بناء وتوسعة الحرمين الشريفين ما يزيد على 26 مليار ريال سعودي، مع توفير أحدث وسائل الراحة والخدمات للحجاج والمعتمرين من كافة دول العالم.

خدمة الدين الإسلامي امتدت إلى مجالات كثيرة رحبة ومتعددة، منها، على سبيل المثال لا الحصر، إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ومنها أيضاً بناء عشرات المراكز الثقافية الإسلامية وبناء عشرات المساجد وفي كبريات العواصم والمدن العالمية داخل الولايات المتحدة وكندا والدول الأوروبية والآسيوية والأفريقية، تخدم المسلمين في هذه الدول وتنشر فيهم السماحة والتعاون بين الشعوب.

أما على صعيد السياسة والدبلوماسية فقد نهضت المملكة بأدوار ومسئوليات عديدة وصعبة تزيد على الحصر، وكلها أكدت تعاظم مكانة المملكة كفاعل أساسي في الساحة الدولية والإسلامية والعربية. وعلى سبيل المثال، يبرز اتفاق الطائف الذي أنهى في عام 1989 أكثر من 14 عاما من الحرب الأهلية والاقتتال بين اللبنانيين، باعتباره إنجازا مضيئا للملك فهد الراحل، الذي كانت القضايا العربية والإسلامية شغله الشاغل خاصة قضية فلسطين منذ كان ولياً للعهد في عام 1981 حيث قدم مبادرة لتسوية النزاع العربي - الإسرائيلي، وهي المبادرة التي قدمها الملك عبدالله في طرح جديد يلائم المتغيرات الدولية والإقليمية عندما كان وليا للعهد وتبنتها القمة العربية في بيروت عام 2002.

أما الدعم المادي والمعنوي والمساعدات والمعونات للكثير من الدول العربية والإسلامية، والإسهام في بناء العديد من المنشآت والمؤسسات والمشروعات داخل هذه الدول، فهي مما تضيق الصفحات عن حصره، حيث قدم الملك فهد بن عبدالعزيز - طيب الله ثراه - الكثير والكثير في هذا المجال.

من هنا، كان من الطبيعي أن يشعر العالم كله - خصوصاً الشعوب العربية والإسلامية - بالخسارة الكبيرة في وفاة رجل عظيم في حجم المغفور له بإذن الله الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، الذي كان نصيراً للحق والعدل، وأعطى حياته كلها لقضايا أمته الإسلامية والعربية وللشعب السعودي.

---

* أستاذ العلاقات الدولية المشارك
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن